صور ضحايا الارهاب والعمليات المسلحة

هرع المارة وانتشروا في الأزقة، تناثرت جثث الأطفال وتطايرت عباءات النساء، دفع عصف الانفجار طاولة البقال الخشبية، وسقطت أجزاء من بعض البنايات، وتهشّم زجاج المتاجر. التصق على أطراف مملكته التي يعيش في داخلها منذ سنوات بعض بقع الدم، وثقبت شظايا انفجار الشاحنة المفخخة جزءاً من ممتلكاته، لم يبالِ لما آلت إليه الأمور في معقله، وحبس دمعه خوفاً من أن يشاهده المصابون ومبتورو الأطراف، وهو يعتصر ألماً على حال البلاد...

□ بغداد/ وائل نعمة

صور الشهداء تخرج على صمتها: بيننا مندسون!

آلاف الجداريات في بغداد من دون تراخيص حكومية

شاهد يفضل الصمت!

حوادث عديدة كان شاهدها في ذلك الحين شابا في العشرينيات يسكن داخل إطار حديدي على جدارية "فلكس" بيضاء تحولت بمرور الزمن إلى لون مصفر باهت واختفت حروف اسمه وما بقي منها "الشهيد علي... استشهد عام ٢٠٠٦ في انفجار سيارة مفخخة"، يرتفع إلى مسافة المترين عن الأرض وتسنده من الأسفل منصة كونكريتية تشبه القبر، يتوسط شارعا مهما في بغداد، حدث فيه الكثير من المتغيرات خلال السنوات الماضية، وظل الشهيد علي وحيدا أمام تلك المجريات الغريبة خلال الأيام الأولى من مكانه الجديد.

ماذا بعد حظر التجوال؟

كان يخشى حظر التجوال حين يختفي المارة والمتبضعون هرباً إلى منازلهم قبل حلول الليل، وتبدأ دراما القتل والمواجهات بين الشرطة والأمريكان ومسلحين ملثمين، لم يستطع أن يرشد الجهات الأمنية إلى مكان العبوات والسيارات المفخخة التي يرى عملية تفخيخها قبيل الفجر، ولم تجد صرخاته نفعا لتنبيه الجمهور المحتشد أمام متجر لبيع الملابس، بينما مؤقت سيارة ملغومة في خلفهم يصل إلى نقطة الانفجار، وعجز عن الإشارة الى حاملي كواتم الصوت ومغتالي شرطة المرور، ومواكب بعض المسؤولين التي تعتدي على المواطنين وتستغل سلطتها للسرقة والقتل... كوارث مرت أمام أنظاره وهو صامت لا ينبس ببنت شفة، حتى ازداد عدد الصامتين بجواره يوما بعد آخر، حينما رفعت صور شهداء جدد بقربه في الشارع وبدأوا يزاحمونه.

همس الشهداء

يتهامس الشهداء في ما بينهم، يقول "المغدور" في عام ٢٠٠٧ "شاهدت قاتلي مرّ قبل أيام من أمامي... ما زال حرا طليقا"، يجيبه آخر "ربما هرب من السجن سمعت الكثير عن هذه الحوادث". ظل ضحايا الإرهاب ينتقدون ما يجري في البلاد وهم معلقون على الأعمدة ،هم اصدق الشهود، ولديهم تمييز كبير بين الصادق والكاذب، وبين البريء ومن تلطخت يداه بدماء العراقيين ويمد يده للمصالحة الوطنية، حتى عكر صفوهم صورة شاب جديد أضيف مؤخرا الى الشارع والى قائمة الشهداء، رفع سلاحا بوجه الجميع واسند ظهره على جدارية خضراء يقف على أطرافها رموز دينية.يقول (م . س) صاحب متجر في الشارع الذي وضع فيه الصورة الجديدة "أتذكر هذا الشاب بشكل جديد، قبل سنوات كانت نساء المنطقة تنطلق إلى حفلة (حنة) شقيقته، وهو منهمك في زرع عبوة على الطريق العام". ويضيف صاحب المتجر وقد اكتفى بذكر حروف من اسمه " اخطأ في وضع القنبلة وانفجرت بوجهه ...حينها اعتبر شهيدا، رغم أننا لم نكن ندرك العبوة كانت تستهدف من؟".

التخليد لمن؟

يشير رئيس المجلس البلدي في منطقة حي الرسالة إلى أن من حق أي دولة أن تفتخر بشهدائها وتخلد ذكراهم ، شريطة أن يكون رمزا حقيقيا وليس إرهابياً!

عبد مناف عبد الكاظم أكد لـ"المدى " وجود الكثير من الصور المنتشرة في بغداد ، غير معروف صاحبها إن كان شهيدا ام مجرما يتحمل مسؤولية قتل عشرات الاشخاص. ويضيف " لسنا ضد صور الشهداء ، ولكن على أن تكون ضمن ضوابط وموافقات رسمية".

ويروي احد الرجال في منطقة شعبية شرقي العاصمة حادثة غريبة حصلت لأحد الشباب العاملين في سوق لبيع الخضار "تعرض البائع الى أزمة ونزف انفه دما، وتوفي في الحال بعد أن ارتفع ضغط الدم بشكل كبير" ، ويضيف الرجل لـ"المدى" رافضا ذكر اسمه " تفاجئنا في اليوم الثاني أن أصدقاءه وأهله يقولون بأنهم اكتشفوا حينما ذهبوا لدفنه بأنه مصاب بطلق ناري من مسدس كاتم" ، بينما الشاهد يؤكد أن هذا الأمر لم يحدث مطلقا، وأنهم اخترعوا هذه القصة من اجل اعتباره شهيدا ويعلقوا له صورة في وسط الشارع يكتب أسفلها "الشهيد السعيد " على حد قوله.

ضحايا انفجار في بغداد

حديقة لضحايا الإرهاب

وتسقي امرأة عجوز حديقة صغيرة تتناثر على الجوانب ورود قليلة يتوسطها عمود يحمل صورة شاب صغير استشهد عام ٢٠١١ وتقرأ الفاتحة على روحه في كل يوم . قتل الشاب الذي كان يعمل في وزارة الداخلية بمسدس كاتم في منطقة السعدون ، وأصر صديقه الذي يسكن منطقة الشعب كما تقول العجوز على أن يضع صورته قرب دار أهله بمنطقة البياع.

المرأة تبكي كلما مرت بقرب الصورة، ويتحاشى شقيقه الأصغر الذي سيعمل أيضاً في سلك الشرطة على الرغم من ممانعة الأهل المرور بقربة لكي لا يتذكر ما حدث في ذلك اليوم المشؤوم. ويشير في حديثه لـ "المدى" إلى انه لا أرغب في مشاهدة الصورة ...لا أريد أن أعيد شريط تلك الذكرى الأليمة".

صور عشوائية

نواب البرلمان والمسؤولون المحليون وأمانة بغداد غير راضين على عشوائية الصور، ويؤكد عضو لجنة الثقافة والإعلام البرلمانية أن الصور الموضوعة في الشوارع تدار بشكل عشوائي ولا تخضع لقانون. علي الشلاه العضو البارز في دولة القانون شدد في اتصال مع "المدى" على أن البلاد تفتقر لمنظومة رقابة ، كما أن البرلمان لا يزال بعيدا عن تحديد المحظورات، بسبب التخوف من الاحتكاك مع هذه المواضيع التي سبق وان أدرك وبالتجربة بأنها تثير حفيظة الكثير"، مضيفا " نحتاج إلى قوانين جديدة تنظم نشر الصور للمسؤولين وللرموز وحتى في الفترات الانتخابية وتؤخذ مقابلها مبالغ تضاف الى موازنة الدولة".

وكانت الحكومة قد منعت في وقت سابق استخدام الصور الدينية في المؤسسات الحكومية، ولاسيما الجامعات التي عانت من مشاكل تدخل الأحزاب السياسية والدينية . بالمقابل يؤكد المتحدث باسم الأمانة ان الصور المعلقة في الشوارع ستزول في المستقبل . حكيم عبد الزهرة قال لـ"المدى" الصور المعلقة لشهداء او حتى للرموز الدنية والسياسية غير مرخصة وتعتبر تجاوزا لان البعض منها يشغل أماكن مهمة ، مؤكدا " نعد قائمة بأسماء ثقافية وفنية وسياسية ستحملها الشوارع في العاصمة، وهي بالضرورة ستغير الكثير من الصور وبعض أسماء الشوارع والساحات التي اختارها المواطن بشكل عشوائي .

في مدينة الصدر

وتنتشر في مدينة الصدر ذات الكثافة السكانية العالية الكثير من الصور التي تحمل أسماء شهداء قتلوا في الفترة الممتدة ما بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٩ وهي فترة المعارك التي دار رحاها بين القوات العراقية والأمريكية، وفترة القتل على أساس الهوية.يشير سجاد كاظم والد احد الشهداء المعلقة صورته مع زملاء له استشهدوا أثناء مقارعتهم "الاحتلال" على - حد قول الأب - إلى ان الصورة هي اقل تقدير وتكريم لأهل الشهيد ، رافضا أن توصف هذه الجداريات بأنها متجاوزة.

ويؤكد رئيس لجنة الخدمات في المجلس البلدي لمدينة الصدر أن لا احد يجرؤ على إزالة اي صورة حتى وان كانت تعيق الشارع . حسين المولى أكد لـ"المدى" ان جميع الصور الموجودة ومن ضمنها صور الشخصيات الدينية والسياسية غير مرخصة، مرجحا تغيرها مع الحملة القادمة من الأمانة في وضع أسماء جديدة للشوارع والساحات.يذكر أن المعارك بين جيش المهدي والقوات الحكومية العراقية والأمريكية استمرت قرابة الأربع سنوات قبل أن يجمد الجيش منذ أكثر من سنتين ويحول البقية إلى "المهدون" وهم مجموعة من الطلاب ينتظمون في دورات تثقيفية دينية بعيدة عن السلاح . وتمكنت وحدات من الجيش العراقي في عام ٢٠٠٨ من تأمين السيطرة على مدينة الصدر واعتقلت الكثير من سكان المدينة وخلال هذه الفترة سقط آلاف المدنيين العراقيين في الاشتباكات التي دارت في الشوارع ،أو عن طريق العبوات الناسفة والقناصة والمهاجمين الانتحاريين ، وفي الغارات العسكرية والضربات الجوية الأمريكية. والبعض أيضا لقوا حتفهم بسبب نقص الغذاء والمياه والتهديد المتزايد من عدم توافر خدمات الصرف الصحي.

رفات ضحايا الارهاب

اعمال العنف لم تستثن الصبية

تشييع شهداء

سياسية غض البصر!

فيما يرى ملحان الشبلاوي عضو المجلس البلدي لمنطقة حي الجهاد أن "يصار إلى تنسيق بين الجهات البلدية ومؤسسة الشهداء في تحديد أسماء الأشخاص الموضوعة صورهم، بموافقة رسمية وبأرقام تنظيمية ".الشبلاوي وهو رئيس اللجنة الأمنية في المجلس يؤكد في حديثه مع "المدى" أن الصور الموجودة في الشوارع والتقاطعات غير مرخصة"، مضيفا "نحن نغض النظر عن وجودها تكريما لأهالي الشهداء الذين لم يحصلوا على تعويضات حكومية مناسبة".

يذكر أن مجلس الوزراء اصدر في الـ٢٦ من تشرين الأول من العام ٢٠٠٩ قانون رقم ٢٠ القاضي بتعويض المتضررين من العمليات الحربية والأخطاء العسكرية والعمليات، ونص القانون على تعويض قتلى تلك العمليات بثلاثة ملايين و ٧٥٠ ألف دينار وشمولهم براتب تقاعدي وقطعة ارض سكنية، فيما يعوض الجرحى حسب درجة العوق التي تعرض لها.فيما ينتقد شقيق احد الشهداء في منطقة حي العامل لجنة التعويضات التي يقول عنها بانها تعاني من روتين قاتل يعيق كل عملها؛ حسن علي قتل شقيقه عام ٢٠٠٧ في حادثة انفجار عبوات ناسفة طالت احد الملاعب الشعبية في المنطقة، وعلق مع عدد من الشهداء في صورة جدارية بالقرب من منزلهم في المنطقة نفسها . يؤكد حسن لـ"المدى" أن اللوحة كلفت اكثر من ٣٠٠ ألف دينار ، بينما لم يحصلوا على تعويض أو قطعة ارض، وعزاهم الوحيد هو الصورة المنصوبة في نهاية الشارع.

يشار إلى أن عبوتين ناسفتين كانتا مزروعتين داخل ملعب صغير لكرة القدم في منطقة حي العامل الشعبية انفجرتا، واسفر التفجير عن مقتل ١٦ مدنيا وإصابة ستة آخرين معظمهم من الأطفال.

مسؤولون محليون : نسكتُ عن فوضى الصور بسبب إهمال ضحايا الإرهاب

أهالي الشهداء : الجداريات أقل تكريم للتضحية التي قدمها أبناؤنا للوطن

أمانة بغداد : ستزال الصور في المستقبل.. ومشروع لتغيير أسماء الشوارع

ازدواجية التعامل مع التجاوز !

من جانب آخر، يستغرب البعض إصرار الأمانة وبعض الجهات الحكومية على إزالة التجاوزات، ولو كانت "بسطية" صغيرة في وسط سوق الشورجة، كما يقول رئيس المجلس البلدي لحي السلام عبد المناف بان بعض الصور تقع في أماكن إستراتيجية ، وتغض الجهات الحكومية النظر عن هذا التجاوز. وتشغل بعض الجداريات مساحات واسعة، لاسيما ان بعضها تحاط بجدار حديدي يقضم نصف الرصيف.واتهم أمين بغداد صابر العيساوي في وقت سابق اغلب السياسيين بتخريب العاصمة وتدمير تصميمها الأساس، مؤكداً حصول تجاوزات فظيعة شوهت المنظر العام وأوقفت مشاريع الأمانة الإستراتيجية.

وقال العيساوي في لقاء تلفزيوني ، إن «اغلب السياسيين خربوا العاصمة بغداد ودمروا تصميمها الأساس»،مبيناً أن «بعض السياسيين تجولوا خلال الانتخابات وجمعوا مستمسكات المواطنين البسطاء ووعدوهم بالتمليك، الأمر الذي زاد من التجاوز، فضلاً عن صدور كتاب من مجلس الوزراء بالتريث بإزالة التجاوزات لمدة سنة قبل الانتخابات». واعتبر العيساوي أن هذه العوامل «أدت إلى حصول تجاوزات فظيعة جداً، وخربت التصميم الأساس وشوهت المنظر العام، فضلاً عن أنها أوقفت المشاريع الإستراتجية لأمانة بغداد التي يمكن أن تحل مشاكل الملايين من المواطنين».

وتعد قضية التجاوز على أراضي الدولة وعقاراتها مشكلة منتشرة في معظم الوحدات الإدارية في العراق، والتي أدت إلى تشويه التصميم الأساسي لمحافظة بغداد والمحافظات الأخرى، وحدثت معظم تلك التجاوزات بعد الحرب في العام ٢٠٠٣، عندما استولى السكان على عقارات وأراض كانت تعود ملكيتها لدوائر أمنية أو تابعة لحزب البعث أو قادة الدولة السابقين، في حين ما تزال مختلف المؤسسات العراقية تتقدم بقضايا أمام المحاكم لاستردادها.

متحف للشهداء

سعدي مهاوي رئيس المجلس البلدي لمنطقة حي العامل يقترح أن تجمع هذه الصور في مكان واحد بدلا من العشوائية في وضعها .

مهاوي وفي حديث مع "المدى" اعتبر أن تعليق الصور بصورة فوضوية ظاهرة غير حضارية، مقترحا أن توضع في متحف خاص بالشهداء ، معتقدا في الوقت نفسه أن تلك الصور يمكن ان تعطي طابعا أليماً وحزيناً كلما شاهدناها لأنها تذكرنا بأيام العنف والقتل.

فيما يقول عضو في مجلس محافظة بغداد بان الأخير يتعامل بحذر مع موضوع الصور الخاصة بالشهداء أو بالشخصيات الدينية والسياسية على الرغم من إشارته الى أنها تشوه منظر العاصمة.

حسن فلحي عضو لجنة الثقافة والإعلام في المجلس يؤكد في اتصال مع "المدى" وجود مقترحات لرفع تلك الصور عن شوارع العاصمة وتنظيمها ، لافتا الى ان المجلس يخشى ان يتهم بالتعصب لجهة إن قام برفع أي صورة ، موضحا " يمكننا رفع صور رئيس الوزراء ولكنا نخشى رفع صور بعض الشخصيات لاسيما الدينية".فيما يفضل نجم عبد الامير رئيس المجلس البلدي السكوت حول موضوع الصور. عبد الأمير يوضح لـ "المدى" ان المجلس يقف بشكل محايد ، وهم لا يحصلون على أي دعم من البلدية في أي قضية ، فما فائدة الاعتراض على الصور، مضيفا " فنحن نكتب شكاوى المواطن ونرسلها الى الجهات المسؤولة ولكن لا نعرف أين تذهب؟".وبدأت أخيرا الجهات البلدية بإزالة بعض صور الرموز والشخصيات الدينية من العاصمة، وتغطية الأخرى كما أفاد شهود عيان لـ"المدى" بأن الصور القريبة من منطقة المنصور قرب معرض بغداد تعمل الأمانة على إنزالها، وتغطية بعض الصور التي تجاور المحطة العالمية للسكك الحديد، معتقدين - شهود العيان - أنها تأتي ضمن حملة الاهتمام بالعاصمة تزامناً مع انعقاد مؤتمر القمة في نهاية الشهر الحالي.